بين يدي السورة :

السورة مكيَّة ، وتشمل على قسم الله تعالى بمكة المكرمة ورسول الله ﷺ الذي ولد وبعث فيها وكل والد ومولود على أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم وهداه إلى الصراط المستقيم ليكدَّ ويتعب في عبادة الله وتعمير الأرض وتزكية النفس ولكن الإنسان عبد هواه وشيطانه وعصى الله مولاه فأنفق ما أعطاه الله من مال وفير في معصيته ولم ينفقه في سبيله فيحرر العبيد ويطعم الأيتام والمساكين في وقت الشدة والمجاعة ولم يؤمن بالله ولم يتواص بالصبر على أذى الناس ولا الرحمة بهم لذا استحق أن يكون من أصحاب النار ، ولو أنه آمن بالله وعمل صالحاً لكان من أصحاب الجنة والنعيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ
خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ
أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ
﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

اللغويات :

﴿حِلٌّ﴾ حَلَّ بالمكان : نزَل ، أقام به ، فلانٌ حِلٌّ ببَلد كذا : مقيمٌ فيه ﴿كَبَدٍ﴾ الكَبَدُ: المَشَقَّةُ والعَنَاءُ ﴿أَهْلَكْتُ﴾ أهلَك مَالَهُ : فرَّطَ فيه وأَتْلَفَه ﴿لُبَدًا﴾ اللُّبَدُ : المالُ الكثير ﴿النَّجْدَيْنِ﴾ النَّجْدُ : ما ارتفع من الأرض وصَلُبَ ، والنَّجْدُ الطريق الواضح المتصل ﴿اقْتَحَمَ﴾ اقتحم فلانٌ عَقَبةً أو وَهْدَة : رمى بنفسه على شدَّةٍ يريد اجتيازها وتخطِّيَها ﴿الْعَقَبَةَ﴾ المَرْقَى الصَّعب من الجبال ﴿فَكُّ﴾ فَكُّ رَقَبَة: عتقها وتحريرها من الرِّقّ ﴿رَقَبَةٍ﴾ عَتَقَ رقبةً : عبدًا أو أمَةً ﴿مَسْغَبَةٍ﴾ المَسْغَبَةُ: المَجَاعَةُ ﴿مَقْرَبَةٍ﴾ المَقْرَبَةُ : القَرابةُ ﴿مَتْرَبَةٍ﴾ لاصق بالتراب من فقره ﴿بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمةُ ﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ ناحية اليمين ، اليُمْن والبركة ﴿الْمَشْأَمَةِ﴾ :الشُّؤْمُ ، وجهةُ الشِّمال ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ مُطبَقَة مُغْلَقَةٌ أبْوابها .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ نفي الله تعالى قول من ادَّعى أن الإنسان خُلِقَ للهو واللعب في الدنيا ، وأقسم تعالى بمكة المكرمة مَحل أول بيوت الله وُضِع للنَّاس ، ومَحل ميلاد وبعثة رسول الله ﷺ وبكل والد ومولود عاشوا في هذه الدنيا على أن الإنسان لم يخلق عبثاً ، ولن يترك سدى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ وجواب القسم إن الله لم يخلق الإنسان للهو واللعب إنما خلقه للتعب والمشقة ، والمُفْلِح من أتعب نفسه في طاعة ربه ليفوز برضاه ونعيمه ، والخاسر من أتعب نفسه في معصية الله فخسر الدارين ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا﴾ ما أعجب هذا الإنسان الذي منحه الله أسباب القوة ومقومات القدرة فيغتر بقوته ويستعظم قدرته ويستغني عن خالقه ورازقه ويظن أن ما عنده من نعم من كَدِّه وتعبه ، ولا فضل لأحد عليه بل ولا قدرة لأحد عليه ! ويفاخر هذا الإنسان الذي أنعم الله عليه بالمال الوفير أنه أتلف المال الكثير على شهواته ورغباته والصد عن سبيل الله ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أيظن هذا الإنسان أن أمره قد خفي فلم يطَّلع عليه أحد حتى من خلقه ؟! ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ كيف يظن الإنسان أن الله لا يراه ، ولا يسمعه وهو الذي خلق له عينيه لينظر بهما؟ ولسانه وشفتيه ليتمكن من الكلام ؟ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ولا عذر لهذا الإنسان فيما يفعل من شر بإرادته الحرَّة بعد أن بيَّن الله له، عن طريق رسله وكتبه ، طريقي : الهدى ، والضلال . فالحلال بيِّن كالجبل ، والحرام بيِّن كالجبل

﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وهذا الإنسان الشَّقي لم يجاهد نفسه ليتخطَّ العقبات التي تحول دون هدايته وهي : هواه ، نفسه الأمَّارة بالسوء ، الشيطان ، وزخرف الحياة الدنيا وزينتها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ وإن كنت لا تعلم ما العقبة فسأخبرك بها ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ ومن وسائل مجاهدة النفس والهوى والشيطان وتخطي العقبة تحرير العبيد والإماء من العبوديَّة ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أو إطعام المحتاجين في أوقات المجاعة والشِّدَّة وَالضِّيق ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ وفي مقدمة هؤلاء المحتاجين إلى الطعام اليتيم ذو الرحم والقرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ والمساكين والفقراء المحتاجين ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ ولكن الإنسان الشَّقي لم يقتحم العقبة ولم يكن من أهل الإيمان الذين يتواصون فيما بينهم بالصبر على الأذى والرحمة بعباد الله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ومن يؤمن بالله ويجاهد نفسه فيعتق الرقاب ويطعم المحتاجين في المجاعة ويتواصى بالصبر ويتواصى بالمرحمة فهؤلاء هم أصحاب اليُمْن والبركة الفائزون برضا الله ونعيمه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أما الذين كفروا بالله وكتبه ورسله ولم يجاهدوا أنفسهم وأطاعوا شيطانهم فهم الأشقياء أهل الشؤم والجحيم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ يدخلون النار وتغلق أبوابها عليهم فلا يستطيعون منها أن يخرجوا ولا من نارها أن يحتموا .

فوائد وعظات :

* من المقصود بالإنسان في ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ؟

والمراد بالإنسان : جنسه والمعنى : لقد خلقنا كل الناس في مشقة ، لا فرق في ذلك بين : غنى أو فقير، حاكم أو محكوم ، مؤمن أو كافر ، قديم أو مُحْدَث الكل يشقى في سبيل غاية ينشدها ، وإن كانت غاية طالب الدنيا سبيلها ، في البداية ، سهلة محببة للنفس تُغْري بالسير فيها فإنه سرعان ما تتبدى نتائجها السلبية وصعوباتها ومشاقها فكل المعاصي والآثام عواقبها وخيمة ليس في الآخرة فحسب لكن في الدنيا أيضاً فالزنا له أمراضه الفتاكة ، وشرب الخمر له أخطاره المهلكة ، وكذلك : القتل، السرقة ، الظلم ، ... ولا خير في لذَّة يتبعها ندم ، وإن كانت غاية طالب الآخرة سبيلها ، في البداية ، شاقَّة لأنها مخالفة لهوى النفس وشياطين الجن والإنس فإنه ، بالصبر والمثابرة ، سرعان ما تتبدى نتائجها الطيبة فيحبب الله لطالب الآخرة الإيمان ويزينه في قبله ويكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان ويجعله من الراشدين .

فالله تعالى يجعل في ذكرك له طمأنينة قلبك ويجمع عليك شملك ويرضي نفسك، أما من نسى الله فينسيه نفسه ويشتت عليه أمره ويشغل قلبه .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُمر:٢٩]

فمن عَبَدَ غير الله تنازعته آلهته : الهوى ، والشيطان ، وشهوات النفس ، وزينة الحياة الدنيا : المال ، البنون ، النساء ، السلطان ... ويحار في إرضائها جميعاً ويعيش في حيرة وشك ، أما من عبد الله فيعيش في راحة وأمان فلا رب له سوى الرحمن . ذاقَ طعمَ الإيمانِ ، من رضيَ باللَّهِ ربًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمَّدٍ رسولاً ". [صحيح مسلم]

* ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ يقول الجاهلون والحاقدون إن الإسلام جاء بالرق وشرَعَه ، والحقيقة أن الإسلام عندما جاء كان الرق راسخاً متأصلاً في كل الشعوب والممالك ولم يَسِنَّ شعب أي قانون للعتق بل كان الرق يزيد ويستفحل يوماً بعد يوم وجاء الإسلام فحَصَرَ مصادر الرِّق في أسر الأعداء الكافرين الذين يحاربون المسلمين ، معاملةً لهم بالمثل ، وأبطل مشروعية أي مصدر آخر للرِّق مما كان شائعًا وقتئذ ، كاستعباد الأشخاص المذنبين ، وسرقة الأطفال ، وخطف النساء والرجال في النزاعات والحروب المحلية وحوادث قطع الطرق ونحوها . وشرع الإسلام العتق ووسَّع منافذه . فالإسلام دعا إلى تحرير العبيد وحثَّ عليه وجعله على رأس البِّر والتقرب إلى الله وأولى العقبات التي يجب أن يتخطاها المؤمن القادر لينال رضا ربه وقدَّمه على إطعام اليتامى والمساكين في وقت المجاعة كما جعله كفَّارة لبعض الذنوب : القتل الخطأ ، الظِّهار (١) ، الحنث في اليمين ، بل جعله النبي ﷺ كفَّارة لسوء معاملة العبيد " مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكًا لَهُ أَوْ ضَرَبَهُ ؛ فَكَفَّارَتُه أن يُعتِقَه " [رواه مسلم]

وجعل الإسلام عتقَ العبيد من مصارف الزكاة ، والمُكَاتَبَةَ (٢) وسيلةً لتحرير العبد نفسه ، وجعل إنجاب الأَمَة من سيدها سبباً في عتقها ، وأولاده منها أحرار كأبيهم.

كما أمر النبي ﷺ بحسن معاملة العبيد فنهى عن قول سيده له : عبدي وأمتي إنما يقول : فتاي وفتاتي " لا يقولنَّ أحدُكم عبدي وأمَتي . كلُّكم عبيدُ اللهِ . وكلُّ نسائِكم إماءُ اللهِ ولكن ليقُلْ: غلامي وجاريتي وفتايَ وفتاتي " [صحيح مسلم]

---

(١) الظِّهَار : تشبيه الزوج لزوجته بأمه في الحرمة .

(٢) المُكَاتَبَة : قبول السيد من رقيقه تحرير نفسه مقابل مبلغ من المال يدفعه إليه على أقساط .

كما أمر النبي ﷺ السيد أن يطعم فتاه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه من العمل فوق ما يطيق وإلا ساعده فيه " فأَطعِموهم مما تأكلون وأَلبِسوهم مما تلبسون ولا تُكلِّفوهم ما يغلبُهم فإن كلَّفتُموهم فأعِينوهم " [رواه مسلم]

وهذه الأحكام في معاملة العبيد لم تُشْرَع في المدينة كسائر الأحكام إنما شُرِعَت في بداية الدعوة فالأمر بفك الرقاب ورد في القرآن المَكِّي ، والصحابة أعتقوا العبيد في مكة والعجيب أن يكون آخر ما نطق به النبي ﷺ كان التوصية بالعبيد فعن علي بن أبي طالب قال : " كان آخر كلامِ رسولِ اللهِ ﷺ الصلاةَ الصلاةَ ! اتقوا اللهَ فيما ملكت أيمانُكم " [صححه الألباني]

ولو سار المسلمون على نهج الإسلام في علاج مشكلة الرق لقضوا على عبوديَّة تدريجياً ، وما بقي عبيد ولا إماء منذ نحو ألف عام ولم ننتظر قرار عصبة الأمم بمنع تجارة العبيد وإلغاء العبودية بشتى أشكالها عام ١٩٠٦ ، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ .

من لطائف النظم القرآني :

* كيف يقسم الله تعالى ثم يسبق قسمه بحرف النفي لا ؟!

الله تعالى أحياناً يقسم بذاته وصفاته لتأكيد ثوابت الدين ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢] وأحياناً يقسم تعالى ببعض مخلوقاته تعظيماً لشأنها ولفتاً لأنظار الناس إليها مثل : قَسَمه تعالى بالشمس والليل والضحى والسماء ...

ولكن ما حار فيه العلماء هو القَسَم المسبوق بحرف النفي " لا " مثل قوله تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:١ ، ٢] و ﴿ لاَ ﴾ عند المفسرين في هذا التركيب وأمثاله زائدة ومعنى لا أقسم : أي أقسم !! أو مزيدة للتأكيد ، أو للاستفتاح ، وبتتبع هذا القسم المسبوق بحرف النفي " لا " نجد أن حرف " لا " نفي لما ينكره غير المؤمنين من ثوابت الدين ثم يتبعه الله تعالى بالقسم على صحة هذه الثوابت ، وهذا موجود في كلام العرب وفي كلامنا الآن فعندما يُتْهم الإنسان بشيء لم يفعله أو يُؤْمر بفعل شيء يأباه ، أو يرى شيئاً لا يرضاه فإنه ينفي ويقسم معاً فيقول عند الاتهام بشيء ينكره : لا.. والله ما فعلت كذا ، ويقول عندما يؤمر بعمل شيء يرفضه : لا .. والله لن أفعل ذلك ، وعندما يرى شيئاً لا يرضى يقول: لا .. والله ما يرضى هذا أحداً .

ولله المثل الأعلى ففي قوله تعالى : ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ حرف النفي " لا " ردٌّ على إنكار الكفار البعث بعد الموت ، والقسم لتأكيد البعث والحساب . ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ النفي " لا " ردٌّ على من ينكر أن الإنسان خُلِقَ في الدنيا ليكدح فيها ثم يلاقي ربه فيحاسبه على ما عمل ، والقسم لتأكيد أن الإنسان لم يُخْلَق للهو واللعب إنما للتعب والمشقة في عبادة ربه وتعمير أرضه ، والسر البياني لهذا الأسلوب يعتمد في قوة اللفت على ما يبدو بين النفي والقسم من مفارقة مثيرة للانتباه .

* ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ فِي كَبَد توحي بأن الإنسان مغموس في المشقة ولا تنفك عنه ما دام حيّاً .

* ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ استفهام غرضه الإنكار والتوبيخ ، ومثله ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ .

* ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ هذه الآية تشعر بأن هناك مصروفات سرية لا يعلمها إلا الله ينفقها الإنسان على المؤامرات أو على الشهوات أو للحصول على ما ليس له بحق .

* ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا ﴾ التعبير بالفعل " أهلكت " والوصف " لبداً " يدل على أن هذا الشقي قد أنفق مالاً كثيراً في الشَّر في اللعب واللهو والزينة والتفاخر والصد عن سبيل الله ، ولم يكن منه شيءٌ في سبيل الله .

*﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * ولِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ استفهام غرضه التقرير والتعجب؛ لأن الله قد جعل للإنسان عينين ولساناً وشفتين ، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، والعجيب أن الإنسان لم يشكر الله تعالى على هذه النعم، بل قابلها بالجحود والبَطَر .

* ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ استعارة تصريحية حيث شبه الله تعالى طريقي : الهدى والضلال بالنجدين (الجبلين) وحذف المشبه وصرح بالمشبه به لبيان وضوح الطريقين وعدم التباسهما .

* ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ استعارة تصريحية فقد شبه تعالى مجاهدة النفس وعمل الصالحات بالعقبة (الطريق الوعر في الجبل) وحذف المشبه وصرح بالمشبه به لبيان على عمل الصالحات يحتاج إلى مجاهدة للنفس وصبر .

* ما المقصود بلا في قوله تعالى ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ فإن كانت للنفي فكيف يقول الله تعالى لمن لم يجاهد نفسه ولم يقتحم العقبة بعمل الصالحات ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ

آمَنُواْ ...﴾ ؟ وإن كانت " لا " بمعنى " هلاً " أي للتحضيض والحثِّ فيكف يقتحم العقبة ويعمل الصالحات قبل أن يؤمن ؟

ونرجِّح أن " لا " نافية لأن كل حرف في القرآن يأتي بمعناه ولا يكون بمعنى غيره من الحروف . والمعنى فلا اقتحم العقبة ولا كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ؛ لأن العرب ، كما يقول الزَّجاج والفرَّاء ، لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع، حتى يعيدوها في كلام آخر، كقوله تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾ [القيامة : ٣١] ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٦٢] وإنما أفردوها لدلالة آخر الكلام على معناه ، فيجوز أن يكون قوله : ﴿ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قائماً مقام التكرير، كأنه قال: فلا اقتحم العقبة ولا آمن .

* بين ﴿مَقْرَبَةٍ﴾ و ﴿مَتْرَبَةٍ﴾ جناس ناقص يعطي جرساً موسيقيّاً .

* وبين ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ و ﴿ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ مقابلة لتوضيح الفرق العظيم بين أصحاب الجنة وأصحاب النار .

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿الْبَلَدِ .. وَمَا وَلَدَ.. كَبَدٍ.. أَحَدٌ﴾ و ﴿عَيْنَيْنِ .. شَفَتَيْنِ .. النَّجْدَيْنِ﴾ و ﴿الْعَقَبَةُ .. رَقَبَةٍ .. مَسْغَبَةٍ .. مَقْرَبَةٍ .. مَتْرَبَةٍ .. الْمَيْمَنَةِ.. الْمَشْأَمَةِ .. مُؤْصَدَةٌ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

سورة مَكِّيَّة بالاتفاق، وتشتمل على القسم بسبعة أقسام لفتاً للأنظار إلى التفكر في بديع خلق الله تعالى فيها ، ولدراستها ولبيان عظمة خالقها ، والاستفادة منها في تيسير الحياة ، أقسم الله بها جميعاً على فلاح من أطاع ربه وزكَّى نفسه عن المعاصي ، وخيبة من دسَّ نفسه فيها والاعتبار بقوم ثمود الذين أهلكهم الله رغم قوتهم ومَدَنِيَّتهم لأنهم كفروا بالله وكذَّبوا صالحاً رسوله وقتلوا الناقة التي حذَّرهم من إيذائها .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ﴿١٥﴾

اللغويات :

﴿ضُحَاهَا﴾ ضَوْءُ الشمس ﴿تَلاهَا﴾ تَلاهُ في سَيْرِه : تَبِعَه ﴿جَلاَّهَا﴾ جَلَّى النَّهارُ الظُّلْمَةَ : كَشَفَها ﴿يَغْشَاهَا﴾ : يُغطي الأشياءَ بظلمَته ﴿طَحَاهَا﴾ طَحَى : انْبَسَطَ وامْتَدَّ ﴿سَوَّاهَا﴾ سَوَّى الشَّيءَ : قوَّمَه وعدَّلَه وجعَلَه سَوِيًّا ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ أَلْهَمَ : أَوْصَى، لَقَّنَ ، وَفَّقَ ، هَدَى ﴿فُجُورَهَا﴾ فُجُورُ الرَّجُلِ : اِرْتِكَابُهُ الْمَعَاصِيَ

﴿تَقْوَاهَا﴾ التَّقْوَى : الخشيةُ والخوف ﴿أَفْلَحَ﴾ : ظَفِرَ بما يُرِيدُ ، فَازَ بِنَعِيمِ الآخِرَةِ ﴿زَكَّاهَا﴾ زكَّى نَفْسَهُ : أَصْلَحَهَا ، وطهَّرها من الذنوب بالعمل الصالح ﴿دَسَّاهَا﴾ الدَّسُّ : الإخْفَاءُ ودَفْنُ الشيءِ تحتَ الشيءِ ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ طَغْوَى وطُغْيان مَصْدَرَان للفعل طَغَى ، طَغَى فلانٌ : غلا في العصيان ، وتجَبَّرَ وأَسْرَفَ في الظُّلْمِ ﴿انْبَعَثَ﴾ انْبَعَثَ الرَّجُلُ : انْدَفَعَ ، هَبَّ ﴿أَشْقَاهَا﴾ الشَّقِيُّ : الضَّالُّ غَيْرُ المهتدي ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقَر البَعيرَ : قَطَعَ إحدى قوائمه ليَسْقُطَ فيَتَمَكَّن مِنْ ذَبْحِه ﴿فَدَمْدَمَ﴾ دَمْدَمَ القومَ ، وعَلَيْهِم : طَحَنَهُمْ فَأَهْلَكَهُم ﴿عُقْبَاهَا﴾ عاقِبَةُ الشَّيءِ : خَاتِمَتُه ، ومَصِيرُهُ .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم الله تعالى بأقسام سبعة بدأها بالقسم بالشمس وضوئها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ والقمر الذي يتبعها ويستمد نوره منها ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾ والنهار الذي يظهر ضوءها على الأرض وحولها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ والليل الذي يغطي ظلامه الكون كله إلا ما تُشْرق عليه الشمس ويُجَلِّي ضوءَه النَّهارُ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ والسماء وبناؤها العظيم ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ والأرض وانبساطها وامتدادها وتهيئتها لحياة المخلوقات عليها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ونفس الإنسان التي خلقها الله في أحسن تقويم وعدَّلَهَا وفي أحسن صورة ركبها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ تلك النفس التي خلقها الله حرَّة مختارة وعرَّفها الخيرَ والشرَ وما يصلحها وما يفسدها ، على لسان رسله ، وهيَّأها لفعل هذا وذاك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ والفائز بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة هو الذي اتَّبع رسل الله وطهَّر نفسه من المعاصي والآثام وألزمها بفعل الطاعات وعمل الصالحات ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ والخاسر في الدارين من كفر بالله ورسله وأغرق نفسه في المعاصي والشرور ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ كذب قوم ثمود بدين الله بسبب طغيانهم ومعصيتهم ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ ولم تكتف ثمود بتكذيب رسول الله صالح بل هبَّ أشرهم يريد قتل ناقة الله ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ وعندما علم صالح بما عزموا عليه حذَّرهم أن يمسوا الناقة بسوء أو يأخذوا نصيبها من الماء ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ ولكن قوم ثمود خالفوا أمر نبيهم وقتلوا الناقة فأهلكهم الله تعالى ودمر عليهم بسبب طغيانهم ومعصيتهم ولم ينجِّ إلا صالحاً ومن آمن معه ﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ والله تعالى نفذَّ فيهم حكمه العادل ولا يخاف تبعة ما فعل فالله تعالى هو القوي العزيز الذي﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَ

أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾ [هود:٦٦]

فوائد وعظات :

* ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ النفس ذاتك وحقيقتك وهي التي تشير إليها بقولك : (أنا) حين تُخْبِر عن نفسكَ بقولك : فَعَلْتُ وَرَأَيْتُ وَسَمِعْتُ وَغضِبْتُ .. (١)

وكما أن النفس تتصف بالإيثار ، والإرادة ، والتواضع ، والطموح ، والكرم ، والعزة ، والكرامة ، والتعاون ، والرضا بالقليل ، وحب الخير للناس ... فإنها أيضاً تتصف بالأثرة ، والعجز ، والكبر ، والكسل ، والبخل ، والذل ، والأنانية ، والجشع ، والحقد ، والحسد ، والظلم ، والطمع ، والغرور ، والتفاخر ...

وتحتاج النفس إلى السلامة بعيداً عن المخاطر ، والاحترام ، والتقدير ، وأن تكون شيئاً مذكوراً ، والاستقلال ، والحرية ...

* قصة ثمود ، ثمود قوم من العرب البائدة مساكنهم بمدائن الحِجْر (مدائن صالح) الواقعة بين المدينة المنورة وتبوك ، كما ذكر ابن الأثر في تاريخه ، آتاهم الله تعالى من العلم والقوة ما مكَّنهم من إقامة مملكة عظيمة ومَدَنيَّة زاهرة وعمارة فارهة وبعث الله فيهم رجلاً صالحاً منهم يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى وحده وعبادته شكراً على جزيل نعمه ويتوبون عن عبادة الأصنام وارتكاب المعاصي والآثام ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:٦١] فلم يؤمنوا بالله تعالى ولم يتوبوا عن عبادة الأصنام ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود:٦٢] فذكرهم بنعم الله عليهم وحذَّرهم من الكفر والفساد في الأرض ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٧٤] ولكنهم لم يؤمنوا بالله تعالى ولم يشكروا نعمه ولم يزكُّوا أنفسهم عن المعاصي ؛ اغتراراً بقوتهم وشدة بأسهم وطلبوا منه كنوع من التعجيز والسخرية أن

(١) تفسير الفخر الرازي للآية الكريمة ج١٧ ص ٢٠

يخرج لهم من إحدى صخور الجبال التي كانوا ينحتون فيها مدناً يسكنونها وأصناماً يعبدونها ناقة عشراء وتعهدوا إن هو فعل ذلك أن صدَّقوه .

دعا صالحٌ اللهَ تعالى فانشقت الصخرة وخرجت منها ناقة عشراء كما طلبوا بل أعظم مما طلبوا فقد كانت ناقة ليس لها مثل في حجمها وهيئتها ، وكانت تشرب من الماء بقدر ما يشربون وتعطيهم من اللبن بقدر ما يحتاجون ﴿قَالَ هَـذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٥٥،١٥٦] آمن نفرٌ من قوم ثمود بصالح وكفر أشراف القوم وعليتهم وغرَّتهم قوتهم وأفسدتهم مَدَنيَّتهم بل ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[الأعراف: ٧٥،٧٦] ولم يكتفوا بالكفر إنما سولت لهم أنفسهم قتل الناقة ، واستعجال عقاب الله ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٧٧] فأهلك الله تعالى جميع من قتل الناقة ومن أيدهم في ذلك ولم تعصمهم بيوتهم الفارهة من الله بل هلكوا وظلت بيوتهم خاوية تحكي قصتهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل:٥١-٥٣]

* ما علاقة قصة ثمود بجواب القسم قبلها ؟

قوم صالح كانوا قوماً أصحاب قوَّة وعلم وقد استطاعوا أن يقيموا مَدَنيَّة زاهرة، ولكنهم بدلاً من أن يعبدوا الله ويشكروه على جزيل نعمه عليهم غرَّتهم قوتهم وأفسدتهم مَدَنيَّتهم فعبدوا الأصنام التي نحتتها أيديهم وكفروا بِنِعَمِ بَارِيهِم، ولا بد أن يجمع الإنسان بين العلم والإيمان ، وبين القوة وتزكية النفس وإلا صار العلم ضلالاً والقوة طغياناً ، وتحولت النِّعْمة إلى نِقْمَة ، والمَدَنيَّة إلى بيوت خاوية لذا كان جواب القسم بآلاء الله ونعمه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وضرب الله تعالى مثلاً على الخائبين الذين أغرقوا أنفسهم في المعاصي بقوم ثمود ليعتبر أولو الأبصار فعن عبد الله بن عمر قال " مررْنا مع رسول الله ﷺ على الحِجْرِ . فقال لنا رسولُ الله ﷺ : " لا تدخلُوا مَسَاكِنَ الذين ظَلَمُوا أنفسَهم ، إلا أن تكونوا باكين .

حذرًا أن يصيبَكم مثلُ ما أصابهم " ثم زجر فأسرع حتى خلَّفَها. " [متفق عليه والرواية لمسلم] وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وقف، ثم قال : " اللهمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاها أنتَ وليُّها وخيرُ من زكَّاهَا "

من الإعجاز العلمي في السورة :

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ كيف يُظْهِر النَّهارُ الشمسَ مع أنَّ الشمسَ هي التي تُظْهِر النَّهارَ ؟ وكيف يُغَطِّي الليلُ الشمسَ مع أن ضوءَ الشَّمْسِ هو الذي يُبَدِّد ظلامَ الليل ؟ ولم يُعْرفْ الإعجازُ العلميُّ في هاتين الآيتين إلا بعد أنْ التُقطَت صورةٌ من سفينة الفضاء جاليليو أَظْهَرَتْ هَالَةً من النور تُحيطُ بكلِّ من الأرض والقمر ورُئيَ نصفُ كلٍّ منهما المواجه للشمس منيراً في ظلمة الكون، والصورة الثانية التي أُخِذَتْ من مكوك الفضاء تشالينجر والتي رُئيت فيها هَالَةُ النُّورِ هذه على شكل خيط أزرق دقيق في ظلمة الكون .

وبالبحث اكتشف العلماء أن هالة النور التي تحيط بالأرض سمكها ٢٠٠ كم وأنَّ سكانَ الأرضِ يَرَوْنَ ضوءَ الشمسِ بسبب وجود هذه الهالة وأنَّ الظلامَ يغطي الكونَ كلَّهُ رغم شروق الشمس بسبب عدم وجود هذه الهالة ، وهذه الهالة هي طبقة النَّهار، وعلى ذلك فالنَّهارُ هو الذي يُظْهِر الشَّمسَ ويُجَلِّيها وليس العكس ويصرح الله تعالى بهذه الحقيقة فيقول : ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أما سائر الكون فيغطي ظلامُ الليلِ فيه ضوءَ الشمس ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ويؤكِّد الله تعالى هذه الحقيقة فيقول جلَّ وعلا : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥] فإذا عَرَجَ إنسان من الأرض إلى السماء وتجاوز طبقة النهار فلن يرى إلا ظلمة الكون ولظن أنه أصيب بالعمى .

وإذا حسبنا النسبة المئوية لسمك طبقة النهار، وهي (٢٠٠كم) إلى المسافة بين الأرض والشمس، وهي (١٥٠مليون كم) لكان حاصل النسبة هو (١/٧٥٠) ألف تقريبًا، فإذا نسبنا الحاصل إلى نصف قطر الجزء المدرك من الكون لتبين أنه لا يساوي شيئًا البتة، ومن هنا تتضح لنا روعة التشبيه القرآني في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس:٣٧]

وعلامة لهم دالة على توحيد الله وكمال قدرته : هذا الليل ننزع منه النهار، فإذا الناس مظلمون حيث شبَّه انحسار طبقة النهار البالغة الرقة بسلخ جلد الذبيحة الرقيق عن كامل بدنها ، الأمر الذي يؤكد أن الظلام هو الأصل في الكون، وأن النهار ظاهرة عارضة رقيقة لا تظهر إلا في الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض، وفي نصفها المواجه للشمس في دورة الأرض حول نفسها أمام ذلك النجم، وبتلك الدورة ينسلخ النهار تدريجيًّا من ظلمة كلٍ من ليل الأرض وحلكة السماء، كما ينسلخ جلد الذبيحة من جسمها. (١)

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ الفعل " تَلاَ " لا يعني فقط أن القمر يَعْقُب الشمس فيطلع بعدها إنما " تَلاَ " تُلُوًّا : اتَّبَعَ وفي هذا إشارة إلى أن القمر تابع للشمس ومُسْتَمِدٌّ نوره من ضوئها .

* التضاد بين ﴿ٱلشَّمْسِ وٱلْقَمَرِ﴾ ، وبين ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾ ، ﴿وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ لبيان اختلاف التنوع في نعم الله تعالى .

* التضاد بين ﴿فُجُورَهَا و تَقْوَاهَا﴾ ، ﴿زَكَّاهَا و دَسَّاهَا﴾ لبيان اختلاف التضاد بينها وعلى الإنسان أن يختار إحداها ويقلع عن الأخرى .

* توافق فواصل السورة كلها مراعاة لرءوس الآيات يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني.

***

(١) انظر د. زغلول النجار ، صحيفة الأهرام، العدد: ٤١٨٧٤

بين يدي السورة :

أقسم الله تعالى بالليل والنهار وخلق الذكر والأنثى على اختلاف طبائع البشر وميولهم وتفكيرهم اختلاف تنوع ليتكامل سعيهم في طلب الرزق وتعمير الأرض ولكنهم اختلفوا اختلاف تضاد بعد أن بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب المقدسة والشرائع المحكمة إلى فريقين : من آمن بالله وكتبه ورسله واستقام ، ومن كفر وكذّب وعصى ، وجعل الله تعالى مصير الفريق الأول الجنة ، ومصير الفريق الثاني النار .

سبب النزول :

روي عن علي بن أبي طالب أنه قال : " كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَده عُودٌ يَنْكُتُ به فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ مَا منْكُمْ منْ نَفْسٍ إلاَّ وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا منْ الْجَنَّة وَالنَّار قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه فَلِمَ نَعْمَلُ أَفَلاَ نَتَّكِلُ قَالَ لاَ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ إِلَى قَوْلِه ﴿... فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [متفق عليه]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ

﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

اللغويات :

﴿يَغْشَى﴾ : يُغَطِّي ، وغشِيَ اللَّيلُ : أظلم ﴿تَجَلَّى﴾ الأمرُ : ظَهَرَ وتَكَشَّفَ ، النهارَ: سطع ضوءه ﴿لَشَتَّى﴾ أَشْياء شَتَّى : مُخْتَلِفَة ﴿اتَّقَى﴾ اتَّقَى اللهَ : خَافَ عِقابَهُ فَتَجَنَّب ما يَكْرَه ، واتَّقَى الشَّيءَ : حَذِرَهُ وتَجَنَّبَه ﴿بِالْحُسْنَى﴾ مؤنَّث الأَحسن : الأفضل ، والعاقبة الحَسَنة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ تَيَسَّرَ الشَّيءُ : تَسَهَّل وتَهيَّأ ﴿لِلْعُسْرَى﴾ أعْسَرَ فُلان : افْتَقَر وضَاقَ حالُه ، والْعُسْرَى : الخَصْلَة المؤدِّية إلى العذاب ﴿اسْتَغْنَى﴾ التَّاجِرُ : اغْتَنَى ، أَعْرَضَ ، كَانَ فِي غِنًى عَنْ غَيْرِه ﴿وَمَا يُغْنِي﴾ عَنْكَ هذا : أي ما يُجزِئُ عَنْكَ وَمَا يَنْفَعُك ﴿تَرَدَّى﴾ في الإثم : ارتكب ذَنْبًا ، وتَرَدَّى في حُفْرَة " : سَقَطَ فيهَا ، مات ، سقَط في جهنم ﴿تَلَظَّى﴾ تَلَظَّت النَّارُ : تَلَهَّبَتْ ، اتَّقَدَتْ، اضْطَرَمَتْ ﴿يَصْلاهَا﴾ صَلِى الشيءَ صَلِى صَلْيًا : أَلْقَاهُ في النَّار ﴿الأَشْقَى﴾ الشَّقِيُّ : الضالّ غير المهتدي ﴿كَذَّبَ﴾ كَذَبَ بالأَمر تكذيبًا، وكِذَّابًا : أَنكر ﴿تَوَلَّى﴾ عَنْه : ابْتَعَدَ ، أعْرَضَ عَنْهُ ، وفلانًا : نَصَرَهُ وأَيَّدَه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ جَنَّبَ فلاناً الشَّيءَ: أَبْعَدَهُ عنه ﴿يَتَزَكَّى﴾ زَكَّى : تطهَّر من دَنَسِ الذُّنوب ، ومالَهُ : أَدَّى زكاتَهُ ﴿تُجْزَى﴾ جَزَى فلاناً بكذا وعليه: كافأَهُ ، وجزَى صديقُه عنه الدَّيْنَ : كَفَاهُ ، قَضَاهُ عَنْه ﴿ابْتِغَاءَ﴾ ابتَغَى الشَّيءَ : أَرَادَهُ وطَلَبَه .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ أقسم الله تعالى بالليل حين يعم ظلامه فتسكن الكائنات الحيَّة وترتاح وتنام ، وبالنهار حين يسطع ضوءُه فتسعى الكائنات في طلب رزقها ، وبخَلْق الكائنات الذكر منها والأنثى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ جواب القَسَم لقد خَلَقَ الله تعالى البشر مختلفين متنوِّعين ليتعارفوا ويتعاونوا ويتكاملوا وأرسل إليهم الرسل ليؤمنوا ويهتدوا فاختلفوا وتفرَّقت بهم السبل فمنهم من آمن وعمل الصالحات ومنهم من كفر واجترح السيئات ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ فمن آمن بالله وخاف مقامه وسخَّر نِعَم الله تعالى في مرضاته ومنفعة الناس فإن الله سيوفقه إلى ما يحب ويرضى

وييسر له أمره ويسهل له طريقه إلى الجنة ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أمَّا من كَفَر بالله تعالى واليوم الآخر واستغنى بالنِّعم عن المُنْعِم سبحانه وبخل بما أعطاه الله على خلقه فإن الله تعالى يُزَيِّن له سوء عمله فيراه حسناً ويُمدُّه في ضلاله مدّاً ولا يذوق للسعادة والراحة والرضا في الدارين طَعْماً ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ ولن ينفعه ماله الذي بخل به على خَلْق الله إذا حضره الموت ، ولن يعصمه ماله هذا من السقوط في النار ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ إن علينا أن نُبيِّن للنَّاس طريق الهداية وقد بيَّناه بما أودعنا فيهم من فطرة ، وعقل ، وما أرسلنا لهم من أنبياء ورسل ، وما أنزلناه عليهم من صحف وكتب، وما فيها من شرائع وأخلاق ومعاملات ونُسُك ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾ وإن أمر الدنيا والآخرة بيد الله وحده لا شريك له يعطي ما شاء من شاء ومن أعطي شيئاً في الدنيا فبعطاء الله له وليس بحوله وقوته ، ويوم القيامة يُرَد المُلْك لصاحب المُلْك والمَلَكُوت ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فاحذروا أيها الناس من نار الله الموقدة التي لا يدخلها ويعذَّب بها إلا الضَّالون الذين كفروا بالله وأنكروا دينه وأعرضوا عن هديه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أما المؤمن الذي خاف مقام ربه وأدَّى زكاة ماله للمستحقين لها ليس مكافأة لهم لسابق معروف أو جميل إنما إرضاء لله تعالى وامتثالاً لأمره إن هذا المؤمن لن ينجيه الله تعالى من عذاب النار فحسب بل سيعطيه من فضله حتى يرضى ولسوف يرضى .

فوائد وعظات :

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ المتأمل في هذه الآيات الكريمة يراها قد وصفت المؤمنين الصادقين بثلاث صفات هي جِمَاع كل خير ، وأساس جميع الفضائل : وصفهم بالسخاء ، وبالخوف من الله تعالى ، وبالتصديق بكل ما يجب التصديق به ، ورتَّب على ذلك توفيقهم للخصلة الحسنى التي تنتهي بهم إلى الفوز والسعادة .

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ وصف تعالى أهل الفسوق والفجور بثلاث صفات ، هي أساس البلاء ، ومنبع الفساد ، ألا وهى :

البخل ، والغرور ، والتكذيب بكل ما يجب الإيمان به ورتَّب سبحانه على ذلك تهيئتهم للخصلة العسرى ، التي توصلهم إلى سوء المصير . (١)

وفي هذه الآيات أبلغ رد على الجبريين الذين يقولون إن الإنسان مُسيَّر في الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، ودخول الجنة والنار ؛ فالله تعالى ذكر أن التيسير لليسرى كان لمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، والتيسير للعسرى كان لمن بخل واستغنى وكذَّب بالحسنى .

من لطائف النظم القرآني :

* ما علاقة القَسَم في صَدْر السورة بالليل والنهار وخلق الذكر والأنثى بجواب القَسَم ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ؟

وقبل أن نجيب عن السؤال نُمَهِّد بمقدمة موجزة عن نظرة الإسلام لكلٍّ من الرجل والمرأة من حيث : طبيعة كل منهما ، وعمله المكلَّف به ، والأكرم عند الله منهما .

الله تعالى قد خَلَق كلاً من الرجل والمرأة من نفس واحدة آدم عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١] وجعل لكلٍّ منهما طبيعة خاصة ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦] وجعل لكل نوع منهما عملاً مختلفاً في الحياة يتناسب مع طبيعته ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل : ٤] فالرجل مسئول عن توفير احتياجات أهله : المسكن والمأكل والمشرب والملبس والحماية .. "الرَّجُلُ راعٍ في أهله وهو مَسْئُولٌ عن رعيَّتِه " [البخاري] والمرأة ترعى شئون البيت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣] وتهيِّئ لمن فيه سبل الراحة والسكن وتشيع فيه المودة والرحمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم:٢١] "والمرْأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومَسْئُولةٌ عن رعيَّتِها " [البخاري] وتعمل المرأة خارج البيت في حالتين : أن يكون المجتمع في حاجة إلى عمل لا يحسنه غيرها ، أو أن تكون هي في حاجة إلى عمل لا يقوم به سواها ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣] على ألاَّ تخلَّ المرأة بعملها الأساسي في البيت ، وأن تختار ما يناسبها من عمل ، وأن تلتزم بآداب

(١) د. محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ٤٥٢٠

الإسلام وأخلاقه في الملبس والسلوك ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣] " صنفانِ من أُمَّتي لَمْ أرَهما : قومٌ معهم سياطٌ مثْلُ أذنابِ البقرِ يضربونَ بها النَّاسَ ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مُميلاتٌ رؤوسُهنَّ مثْلُ أسنمَةِ البُخْتِ المائلةِ لا يدخُلونَ الجنَّةَ ولا يجدونَ ريحَها " [رواه مسلم] وعنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : " لُعِنَتِ الواصلةُ والمستوصلةُ ، والنَّامصةُ والمتنمِّصةُ ، والواشمةُ والمستوشمةُ ، منِ غيرِ داءٍ " [صحيح الألباني]

وعلى كل من الرجل والمرأة أن يرضى بما خصَّه الله تعالى من طبيعة وما كلَّفه به عمل ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٢] قال ابن عباس : " لعَن رسولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهينَ من الرجالِ بالنِّساءِ ، والمُتَشَبِّهاتِ من النساءِ بالرجالِ " [البخاري] والأكرم منهما عند الله ليس بنوعه إنما بإيمانه وإخلاص عمله الذي كلَّفه الله به ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]

نعود للإجابة عن السؤال عن علاقة قَسَم الله تعالى بالليل والنهار وخلق الذكر والأنثى بجواب القسم ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ .

الله تعالى خلق الليل للسكن والراحة والنهار للعمل والسعي ، وكذلك خلق الذَّكر للسعي على الرزق والجهاد والمشقة ، والأنثى للسكن والمودة والرحمة ، فالذكر والأنثى وإن كانا يتفقان في الجنس فيختلفان في النوع ، وإن كانا يتفقان في وجوب السعي فيختلفان في طبيعته وإن كانا يتفقان في المسئولية فيختلفان في مجالها ، واختلاف الذكر والأنثى اختلاف تنوُّع وليس اختلاف تضاد مثل اختلاف الليل والنهار فكلاهما يكمل الآخر ولا يكرره ، وتكامل الأعمال يولِّد الوفاق ونجاح العمل وتكرارها يولِّد الخلاف والفشل .

* ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ أسلوب خبري مؤكد بثلاثة مؤكدات بالقسم ، وإنَّ ، واللام ؛ للتأكيد على اختلاف عمل الرجل عن عمل المرأة ، واختلاف عمل المؤمن الصالح عن عمل الكافر الفاسد .

* المقابلة بين ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ وبين ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ لبيان الفرق بين الإيمان بالله والعمل الصالح وعاقبته الجميلة ، الكفر بالله وسوء العمل وعاقبته الوخيمة .

* ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ حذف مفعولي أعطى لشمول العطاء لسائر النعم فلا يقتصر على عطاء المال للفقير إنما يشمل عطاء العلم للجاهل وعطاء البر للوالدين وعطاء صلة الرحم للأهل وعطاء الحق للضعيف ...

وحذف مفعول اتقى لشمول التقوى الله وعذابه وغضبه ...

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿ يَغْشَى .. تَجَلَّى .. وَالأُنْثَى .. لَشَتَّى .. وَاتَّقَى .. بِالْحُسْنَى .. لِلْيُسْرَى .... ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

السّورة مَكيَّة بالاتفاق ، وهي بموضوعها ، وتعبيرها ، وإيقاعها، لسمة من حنان، ونسمة من رحمة ، وطائف من وُد ، ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع ، وتنسم بالروْح والرضى والأمل ، وتسكب البرد والطمأنينة واليقين. إنها كلها خالصة للنبي ﷺ تسرية وتسلية وترويح وتطمين ، كلها أنسام من الرحمة وأنداء من الوُد ، وألطاف من القربى ، وهدهدة للروح المتعب ، والخاطر المقلق ، والقلب الموجوع(١)

سبب نزول السورة :

عن جُنْدُب بن عبد الله قال : " اشتَكَى رسولُ الله ﷺ فلمْ يَقُمْ ليلتَيْنِ أو ثلاثًا ، فجاءَتْ امرأةٌ فقالتْ : يا محمدُ إنِّي لأَرْجُو أن يكونَ شيطَانُكَ قد تَرَكَكَ ، لم أرَهُ قَربَكَ منذُ ليلتَيْنِ أو ثلاثًا . فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [متفق عليه]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾

(١) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج ٨ ص ٥٢

اللغويات :

﴿الضُّحَى﴾: ضَوْءُ الشمس ، وارتفاع النَّهار وامتداده ﴿سَجَى﴾ سَكَنَ أو اشتدّ ظلامه ﴿وَدَّعَكَ﴾ وَدَّعَ الناسُ المسافرَ : شيَّعوه مُحَيِّين له ، ووَدَّعَ الشيءَ: تركه ﴿قَلَى﴾ فلانًا قِلًى : أَبْغَضَه وهَجَرَه ﴿فَآوَى﴾ آوَى فلاناً : أَسكَنه وأَنزله ﴿ضَالاً﴾ ضَلَّ : ضاعَ ، وزَلَّ عن الشيء ولم يهتد إليه ، ضلَّت عنه الحَقيقةُ : غابت ، وخفي موضعها ﴿تَقْهَرْ﴾ قهَر الشّخصَ : احتقره ، تسلَّط عليه بالظُّلم ﴿السَّائِلَ﴾ سأل السؤال: استدعاء معرفة ، أو استدعاء مال ، سأل المحتاجُ النَّاسَ : طلب منهم الصدقَةَ والعطيَّةَ ﴿فَلا تَنْهَرْ﴾ نَهَرَ فلانًا : زجَرَه وأَغضبه ﴿فَحَدِّثْ﴾ حَدَّث بالنِّعْمة: أَشَاعَها وشَكَر عليها .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ أقسم الله تعالى بوقت ارتفاع الشمس أذاناً بالنشاط والسعي على الرزق ، وبالليل إذا سكَنَ وامتدَّ ظلامُه أذاناً بالراحة والنوم ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ما تركك ربك ، يا محمد ، وما كرهك كما افترى الكفار ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ ولعاقبة أمرك ونهايته خير من بدايته ، وآخرتك خير من دنياك ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ سوف يعطيك ربك من خيْرَي : الدنيا والآخرة حتى ترضى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ لقد أحاطتك عناية الله تعالى منذ ولدت ألم تكن ، يا محمد ، يتيماً فرقَّق الله قلب جدك وعمك من بعده عليك فتعهدا بتربيتك وأحسنا رعايتك ﴿وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى﴾ وقد كنت حائراً تبحث عن الحق ولم تجده في معتقدات قومك فاعتزلتهم وما يعبدون حتى هداك ربك إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٦] ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ ولقد وجدت في هذه الدنيا فقيراً من المال فأغناك بما أعطاك من رزق وقنَّعك به وأغنى نفسك عما في يد الناس من متاع الدنيا ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ فكما عطَّف الله القلوب عليك وأنت يتيم فاعْطفْ أنت كذلك على الأيتام وأحسن إليهم ولا تحتقرهم ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ وكما أن الله تعالى قد أغناك عن السؤال فأعط السائلين ولا تغضبهم ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وهكذا يكون دأبك مع نعم الله أن تشكر الله عليها وتنفق منها على خلْقِه ولا تبخل بها على محتاج إليها .

فوائد وعظات :

* لماذا ذكَّر الله تعالى نبيه بنعمه عليه في ذلك الموقف العصيب ؟

لكي يطمئن النبي ﷺ على أن الذي صنعه على عينه منذ ولد فعطَّف قلوب من ربَّاه ، ولم يتركه للحيرة وإنما للحق هداه ، ولم يتركه يتكفف الناس فعن سؤالهم أغناه ، لم يكن لهذا الله الرحيم أن يبغضه وينساه .

* ﴿وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى﴾ إن المراد بالضلال هنا الحيرة في الوصول إلى الحق، وليس معناه كما فهم بعض المفسرين ، عفا الله عنَّا وعنهم ، الكفر والانحراف ، فالله تعالى قد عصم نبيه من مشاركة قومه في اعتقاداتهم الفاسدة، وفي أخلاقهم السيئة فقد نشأ رسول الله ﷺ كما يقول الإمام محمد عبده : "مُوَحِّداً لم يسجد لصنم ، وطاهر الخلق لم يرتكب فاحشة ، حتى عُرِفَ بين قومه بالصادق الأمين ، فضلال الشِّرك ، وضلال الهوى في العمل ، كانا بعيدين عن ذاته الكريمة . ولكنْ للضلال أنواع أخرى ، منها : اشتباه المآخذ على النفس ، حتى تأخذها الحيرة فيما ينبغي أن تختار ، وهذا هو الذي عناه الله تعالى بالضلال في هذه الآية الكريمة ." (١)

* كيف يقول تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فأغنى﴾ مع أن رسول الله ﷺ عاش مسكيناً ومات مسكيناً ؟ فعن عائشة أم المؤمنين قالت : " تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ ودِرْعُهُ مرهونَةٌ عندَ يهوديٍّ ، بثلاثينَ صاعًا من شعيرٍ " [متفق عليه]

إن كثيراً من الناس من يظن أن الغنى في كثرة المال وكثرة مَتاع الدنيا وحُطامها، والحقيقة أن الغني غنى النفس يقول النبي ﷺ : " لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَضِ ، ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ " [متفقٌ عَلَيْه] ويقول ﷺ : " ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ " [حسنه الألباني]

فغنى النفس والرضا بما قسم الله تعالى هما الغنى الحقيقي الذي يسعد صاحبه في الدنيا والآخرة ويرضى الله تعالى عنه في الدارين ، أما أولئك الذين يظنون أن الغنى يكون بما يملك من متاع الدنيا فلن يتذوقوا للرضا طعماً ولن يفلحوا إذن أبداً يقول النبي ﷺ : " مَن كانت الدُّنيا نيَّتَه فرَّق اللهُ عليه أمرَه وجعَل فقرَه بيْنَ عينَيْه ولَمْ يأتِه من الدُّنيا إلا ما كُتِب له ومَن كانت الآخرةُ نيَّتَه جمَع اللهُ له أمرَه وجعَل غِناه في قلبِه وأَتَتْه الدُّنيا وهي راغمةٌ " [صحيح ابن حبان]

---

(١) نقلاً عن د. سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ج ١٥ ص ٤٣٠

والله تعالى أعطى نبيه ﷺ من النعم ما يجعله أغنى خلق الله جميعاً فجعله في الدنيا خير خلقه وآخر أنبيائه ورفع ذكره فلا يذكر الله تعالى إلا ذكر معه .. ، وفي الآخرة أعطاه الشفاعة العظمى ونهر الكوثر والحوض المورود والمقام المحمود ...

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ ما علاقة الضحى والليل اللذان أقسم الله تعالى بهما في صدر السورة بشماتة قريش بانقطاع الوحي عن النبي ﷺ ؟

لقد مرض النبي ﷺ فحَبَسَ الله تعالى عنه الوحي ليلتين أو ثلاثة حتى يبرأ ، وقد كان نزول الوحي شاقاً عليه ، شفقة عليه وتشويقاً له ، ولكن قريشاً ظنت أن رب محمد قد قلاه وكرهه وقطع وحيه عنه فأوحى الله تعالى له بسورة الضحى وأقسم في صدرها بالضحى الذي يدل على النشاط والسعي ويلمح إلى استئناف نزول الوحي بعد السكون والراحة والعافية الذي ألمح الله تعالى إليها بالقسم بالليل .

* ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ حذف المفعول الثاني في قوله : ﴿يُعْطِيكَ﴾ ليعم كل وجوه العطاء التي يحبها النبي ﷺ والفاء في ﴿ فترضى ﴾ التي تفيد الترتيب والتعقب ؛ لبيان أن عطاء الله تعالى لنبيه ناجز ونافذ .

لماذا قال تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ ولم يقل: سيعطيك ربك؟

لبيان أن عطاء الله تعالى لنبيه لن يكون عاجلاً فحسب ثم ينقطع إنما سوف يستمر طول حياته ولن ينتهي بموته إنما يمتد ويتسع ويعظم فيرفع الله ذكره في الدنيا ويزيد أتباعه فيها وينشر هديه في العالمين ويعظم أجره بصلاته عليه وملائكته وجموع المسلمين ، هذا بالإضافة إلى عطاء الله له يوم الدين .

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوى﴾استفهام لتقرير رعاية لله لنبيه وحفظه من كل سوء .

* الطباق بين ﴿ الآخِرَةُ ﴾ و ﴿ ٱلأُولَىٰ ﴾ لطمأنة الرسول على أن عاجل أمره خير من سابقه .

* المقابلة بين ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ.. وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ وبين ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ لبيان أن جزاء الإحسان إحسان .

* الجناس الناقص بين ﴿ تَقْهَرْ ﴾ و ﴿ تَنْهَرْ ﴾ يعطي جرسا موسيقيّاً .

* اتفاق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿ الضُّحَى .. سَجَى .. قَلَى .. الأُولَى .. فَتَرْضَى .. فَآوَىٰ .. فَهَدَىٰ .. فَأَغْنَىٰ﴾ ، ﴿ فَلا تَقْهَرْ .. فَلا تَنْهَرْ ﴾

يعطى موسيقا تطرب لها الأذن وتستريح لها النفس ويطمئن لها القلب .

***

بين يدي السورة :

السّورة مكّيَّة بالاتفاق وهي تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة ، وبيان أن المراد بالتحديث بها هو شكرها بالاجتهاد في عبادة الله والرغبة إليه بتذكر إحسانه وعظيم رحمته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

اللغويات :

﴿نَشْرَحْ﴾ شَرَحَ الشيءَ : بسَطه ووسَّعه. شرَح اللهُ صدرَه للأمر : حبَّبه إليه ، سرَّه به وطيَّب به نفسَه ﴿صَدْرَكَ﴾ صَدر الإنسان : الجزء الممتدُّ من أسفل العُنُق إلى فَضَاء الجَوْف ؛ وسُمِّيَ القَلْب صَدْرًا لحُلُوله به ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ﴾ وضَعَ عنه الأمرَ : أسقطه ﴿وِزْرَكَ﴾ الوِزْرُ : الحملُ الثَّقيل ، والوِزْرُ الذَّنْبُ ﴿أَنْقَضَ﴾ أَنْقَضَ الحملُ الظَّهْرَ : أَثْقَلَهُ ﴿الْعُسْرِ﴾ عَسُر الأمرُ : اشتدَّ وصَعُب ، عكْس يَسُرَ ﴿فَرَغْتَ﴾ فَرَغَ الشيءُ فَرَاغًا ، وفروغًا : خَلا ﴿فَانْصَبْ﴾ نصب العاملُ : أعْيَا وتَعب ، نصب في الأمر : جدَّ فيه واجتهد ﴿فَارْغَبْ﴾ رغِبَ إليه: تَرَجَّاه ، ابْتَهَل وتَضَرَّع إليه .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ لقد بسطتُ صدرك يا محمد ووسَّعْته وأخرجت حظ الشيطان منه وملأته بالنور والهداية ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ وخفَّفنا عنك ما أثقل ظهرك من أعباء الدعوة بمساندتك وتيسير أمرك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفعنا قدرك في الدنيا فجعلناك مذكوراً في كل أذان وإقامة

وصلاة ، ومذكوراً في صلاة الله عليك وملائكته والمؤمنين قال النبي ﷺ "أتاني جبريلُ فقال: إنَّ ربِّي وربَّك يقولُ لك: كيف رفَعْتُ ذِكْرَك ؟ قال: اللهُ أعلَمُ قال : إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي " [صحيح ابن حبان] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فاصبر ولا تحزن ولا تضيق بما يفعله الكافرون فإن الفَرَج يأتي بعد الضِّيق والمِنْحَة تأتي إثر المِحْنَة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ فإذا فرغت من سعيك وأديت ما عليك من واجبات دينية ودنيوية فاجتهد في العبادة وأتعب نفسك فيها ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ وابتهل لله وتضرّع إليه وادعوه .

فوائد وعظات :

شرح الله تعالى صدر النبي ﷺ شَرْحاً ماديّاً ، شَقُّ الصَّدْر ، وشَرْحاً مَعْنَويّاً .

أما شَقُّ الصَّدْر فقد وقع للنبي ﷺ مرتين الأولى في صغره فعن أنس بن مالك أنه قال : " أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ أتاهُ جبريلُ وَهوَ يلعَبُ معَ الغلمانِ ، فأخذَهُ فصرعَهُ فشقَّ عن قلبِه ، فاستَخرجَ القلبَ ، فاستَخرجَ منهُ علقَةً ، فقالَ : هذا حظُّ الشَّيطانِ منكَ ، ثمَّ غسلَهُ في طَستٍ من ذَهَبٍ بماءِ زمزمَ ، ثمَّ لأَمَهُ ، ثمَّ أعادَهُ في مَكانِه " [صحيح مسلم] كما شرح صدر النبي ﷺ قبل الإسراء والمعراج فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : " بينما أَنا عندَ البيتِ بينَ النَّائمِ واليَقظانِ، إذ سَمِعْتُ قائلاً يقولُ: أحَدٌ بينَ الثَّلاثةِ، فأتيتُ بطستٍ من ذَهَبٍ فيها ماءُ زمزمَ، فشرحَ صدري إلى كذا وكَذا قالَ قتادةُ: قُلتُ لأنَسٍ : ما يَعني؟ قالَ: إلى أسفَلِ بَطني، قال فاستُخْرِجَ قَلبي، فغسلَ قَلبي بماءِ زَمزمَ، ثمَّ أُعيدَ مَكانَهُ، ثمَّ حُشِيَ إيمانًا وحِكْمةً " [سلسلة الصحيح للألباني]

أما شرح الصدر المعنوي فقد سُئلَ النبيُّ ﷺ عنه فقال : نورٌ يُقذَفُ فيه فينشرح صدرُه وينفسحُ له قالوا فهل لذلك من أمارةٍ يُعرفُ بها قال الإنابةُ إلى دارِ الخلودِ والتَّجافي عن دارِ الغُرورِ والاستعدادُ للموتِ قبلَ لقاءِ الموتِ .

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ لِمَ ذكر الصدر ولم يذكر القلب؟ قال محمد بن علي الترمذي: الشيطان يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فإذا وجد مسلكاً أغار فيه ونزل جنده فيه، وبث فيه من الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا

يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة، وإذا طُرِد العدو في الابتداء منع وحصل الأمن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام بأداء العبودية.

* ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ استفهام تقريري غرضه التذكير بنعم الله على نبيه.

* ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ استعارة التمثيلية حيث شبَّه الهموم بحمل ثقيل يرهق كاهل الإنسان ويعجز عن حمله .

* الجناس الناقص بين لفظ ﴿اليُسْر﴾ و ﴿ٱلْعُسْر﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً والطباق بينهما يوضح المعنى ويبرزه .

* ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ عن قتادة: ذكر لنا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بشَّرَ أصحابَه بهذهِ الآيةِ فقال : لن يغلبَ عسرٌ يسريْنِ إن شاء اللهُ " ومعنى هذا : أن العسر مُعَرَّف في الحالين، فهو مفرد، واليسر مُنَكَّر فتعدد؛ فالعسر الأول عين الثاني واليسر تعدد .

* اتفاق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿ صَدْرَكَ .. وِزْرَكَ .. ظَهْرَكَ .. ذِكْرَكَ﴾ ، ﴿ فَٱنصَبْ .. فَٱرْغَبْ ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

السّورة مَكِّيَّة وتشتمل على قَسَم الله تعالى بالتين والزيتون وطور سيناء ومكة المكرمة على أنه خلق الإنسان في أكمل هيئة وأحسن صورة ومع ذلك فإن هذا الإنسان بسبب سوء عمله يدخله الله تعالى الجحيم ، أما الذين آمنوا بالله تعالى وأطاعوه فسيدخلهم جنة النعيم المقيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

اللغويات :

﴿وَطُور﴾ اسم الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام ﴿سِينِينَ﴾ سيناء، والشيء الحسن ﴿أَحْسَنِ تقويم﴾ أكْمَلِ تَعديلٍ وأحسنِ صُورَةٍ ﴿أَسْفَلَ﴾ أسفلُ الشيءِ: ضدُّ أعلاه ﴿سَافِلِينَ﴾ جمع سافِلٍ وهو المُنْحَط المَنْزِلة ﴿مَمْنُون﴾ المَمْنُونُ أقصى ما عند الرجل ، أَجْرٌ غيرُ مَمنُونٍ : غير مقطوع ﴿يُكَذِّبُكَ﴾ كَذَّبَ بالأمر تكذيبًا ، وكِذَّابًا : أنكره .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ أقسم الله تعالى بثمرتي التين والزيتون بياناً لفوائدهما وبطور سيناء والكعبة المكرمة بياناً لقدسيتهما ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ جواب القسم لقد خلقنا الإنسان في أجمل صورة ،

وأحسن هيئة وجعلناه عاقلاً سميعاً بصيراً وأسلنا إليه الرسل وآتيناه الصحف والكتب ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ إذا انحرفت أيها الإنسان عن فطرتي ولم تستقم على شرعي وتقتدي برسلي فسوف تنحط أخلاقك ويضل عملك في الدنيا ، وأحطُّ منزلتك وأبطل عملك في الآخرة وأسْلُكَّ دركات الجحيم ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أما الذين آمنوا بالله تعالى وعملوا ما أمر وانتهوا عما نهى ففي أعلى عليين في جنات النعيم المقيم وهم فيها خالدون ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ فما الذي حملك أيها الإنسان على أن تكفر بأنعم الله تعالى ودينه وتكذِّب رسله وتنكر البعث والنشور والحساب بعد كل ما أعطاك من نعم وأرسل لك من رسل وبين لك من الحق ؟! ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ إنَّ الله تعالى حَكَمٌ عَدْل لذا جعل هناك يوم آخر يجازى كل إنسان فيه على ما عمل ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]

فوائد وعظات :

* ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ كثير من المفسرين استعظموا أن يُقْسِم الله تعالى بثمرتي التين والزيتون فراحوا يتأولون التين ببلاد الشام أو جبال فيها أو دمشق أو مسجدها حيث منبت التين ، ويتأولون الزيتون بمدينة القدس أو جبل فيها أو المسجد الأقصى حيث منبت الزيتون ، والله تعالى عندما يقسم بشيء يكون لبيان قَدْره وشَرَفه أو تنبيهًا لعظيم خَلْقه وجزيل نفعه وفوائده ، ولقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن للتين والزيتون فوائد جمَّة تبين لماذا أقسم الله تعالى بهما ، فقد ذكر الأطباء وأخصَّائيُّو الصحة والتغذية فوائد كثيرة للتين والزيتون .

فمن فوائد التين بالإضافة إلى حلو مذاقه وطيب رائحته وجمال شكله أنه : سهل الهضم، مُنَظِّم لحركة الأمعاء، مانع للإمساك وبقاء الفضلات في الجهاز الهضمي، خافض للكولسترول ، واقٍ من أمراض القلب التاجيَّة ومن سرطان القولون ومن ارتفاع ضغط الدم ، مُقوٍّ للعظام ، مُدِرٌّ للبول، نافع للكبد والطحال ومجاري الغذاء، طارد للرمل من الكلى والمثانة ، كما أن أوراق التين تقلِّل من كميِّة الأنسولين التي يحتاج إليها مرضى السُّكر الذين يُعالجون بحُقَن الأنسولين .

كما ذكر الأطباء فوائد جمَّة لزيت الزيتون ، ولقد اجتمع ستة عشر من أشهر علماء الطب في العالم في مدينة روما في ٤/١١ /١٩٩٧ ليصدروا توصياتهم وقراراتهم

الموحدة حول موضوع "زيت الزيتون" ومما جاء في تلك التوصيات والقرارات: أن تناول زيت الزيتون يسهم في الوقاية من مرض شرايين القلب التاجية وارتفاع كولسترول الدم ، وارتفاع ضغط الدم ، ومرض السكر ، والبدانة ، كما أنه يقي من بعض السرطانات. (١)

ويستعمل زيت الزيتون مَوْضعِيّاً لتنعيم البشرة والوقاية من التجاعيد ، ويمكن استعمال منقوع أوراقه في علاج الجروح وتطهير القروح وعلاج البواسير كما أن منقوع الأوراق المركز يستعمل في علاج آلام الأذن الخارجية وأمراض اللثة والحروق .

* يستحب لكلِّ مَنْ قَرَأَ : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ أَنْ يَقُولَ : بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ منَ الشَّاهدين . لما روي عن النبي ﷺ أنه قال ذلك .

من الإعجاز العلمي في السورة :

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾قام فريق من العلماء اليابانيين بالبحث عن مادة "الميثالويثونيدز" المادة السحرية التي لها أكبر الأثر في إزالة أعراض الشيخوخة، فلم يعثروا على هذه المادة إلا في نوعين من النباتات : التين والزيتون ، وبعد أن تم استخلاصها من التين والزيتون، وجد أن استخدامها من التين وحده أو من الزيتون وحده لم يعط الفائدة المنتظرة لصحة الإنسان إلا بعد خلط المادة المستخلصة من التين مع مثيلتها من الزيتون. قام بعد ذلك فريق العلماء الياباني بالوقوف عند أفضل نسبة من النباتين لإعطاء أفضل تأثير كانت أفضل نسبة هي ١ تين : ٧ زيتون قام د. طه إبراهيم خليفة بالبحث في القران الكريم فوجد أنه ورد ذكر التين مرة واحدة أما الزيتون فقد ورد ذكره صريحاً ست مرات ومرة واحدة بالإشارة ضمنيا في سورة المؤمنون ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٠] قام د. طه إبراهيم بإرسال كل المعلومات التي جمعها من القران الكريم إلى فريق البحث الياباني. وبعد أن تأكدوا من إشارة ذكر كل ما توصلوا إليه في القران الكريم منذ أكثر من ١٤٢٧ عام، أعلن رئيس فريق البحث الياباني إسلامه وقام فريق البحث بتسليم براءة الاختراع إلى د. طه إبراهيم خليفة . (٢)

---

(١) د. حسان شمسي باشا " زيت الزيتون ، أسرار وإعجاز " موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

(٢) د. طه إبراهيم خليفة أستاذ النباتات الطبية والعقاقير بجامعة الأزهر جريدة الرياض السعودية ١/ ١٠ / ٢٠٠٧ م

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ليس بين الكلمتين تشابهاً في الحروف يعطي جرساً موسيقيّاً فحسب إنما العجيب أن بينهما تشابهاً كبيراً في الفوائد الصحية والطبيَّة رغم اختلاف المذاق والشكل والرائحة .

* ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أسلوب مؤكد بمؤكدات ثلاث : بالقسم واللام وقد ؛ لبيان إبداع الله تعالى في خلق الإنسان ولفت الإنسان إلى شكر الله ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]

* الطباق بين ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وبين ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ لبيان حسن خَلْق الله الإنسان ، قُبْح فعل الإنسان العاصي وسوء عمله .

* ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ استفهام غرضه الإنكار والتعجب من الإنسان المكذب بالدين .

* ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ استفهام غرضه تقرير عدل الله تعالى وحكمته .

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿الزَّيْتُونِ .. سِينِينَ .. الأَمِينِ .. سَافِلِينَ .. مَمْنُونٍ .. بِالدِّينِ .. الْحَاكِمِينَ ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن وتستريح له النفس .

***